سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «العقيدة الوَاسِطِيَّةِ»

الدرس الثالث

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثالث

قال المصنف رحمه الله:

وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ، بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى]. فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

اللّٰهمَّ إنا نسألك علما نافعا وعملا صالحا وقلبا خاشعا ودعاء مسموعا، اللّٰهمَّ علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، والحمد لله علىٰ كل حال.

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أن (**مِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ** ﷺ) وقد ذكرنا هٰذه الجملة وما يتبعها من القواعد المهمّة، وهٰذا الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ: ادعاه كثيرون، ادعاه طوائف من المنتسبين إلىٰ القبلة، ولكن دعوىٰ الإيمان بما وصف الله جل وعلا به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، لمّا كانت دعوىٰ عند كثيرين التزم أهل السنة والجماعة أن يذكروا قيد هٰذا الإيمان، فإنّ الإيمان بهٰذه النصوص التي هي نصوص الصّفات ليس إيمانا علىٰ وفق ما تشتهي النفس أو يؤدي إليه العقل؛ بل علىٰ قاعدة.

وتلكم القاعدة هي أن يكون الإيمان بتلك النصوص بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ **من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.**

١. فهناك محرفون يقولون نؤمن بالصفات علىٰ ما جاء في الكتاب والسنة لكنهم يحرفونها عن مواضعها، فأهل السنة خالفوهم وآمنوا بالنصوص من غير تحريف.

٢. وهناك معطلة عطلوا النصوص، عطلوا نصوص الصفات عن معانيها اللائقة بها، أو عطلوا الله جل وعلا عن الوصف الذي وصف به نفسه علىٰ كماله، وأولوه وحرفوه وتوجهوا به إلىٰ معنىٰ آخر، فخالفهم أهل السنة فآمنوا بظاهر النصوص من غير تعطيل لها ولا تأويل يصرفُها عن حقائقها اللائقة بالله جل جلاله.

٣. كذلك آمنوا بالنصوص من غير تكييف لأن هناك من آمن فكيف فجعل نصوص الصفات مكيفة بكيفيات اخترعوها وابتدعوها في أذهانهم، وهؤلاء يزعمون أنهم آمنوا بالنصوص، لكن أهل السنة بينوا أن الإيمان لا بد أن يكون من غير تكييف.

٤. وهناك ممثلة مجسمة آمنوا بالنصوص علىٰ زعمهم وجعلوا ظاهر النص يُراد به أمثلة معروفة، فقالوا: يد الله كأيدينا، وعين الله كأعيننا، وسمع الله كسمعنا ونحو ذلك. زعموا أنهم آمنوا لكن آمنوا إيمانا فيه تمثيل.

وإذن يكون إيمان هؤلاء الأصناف الأربعة يكون إيمانا مدّعىٰ، ليس إيمانا شرعيا.

فمتىٰ يكون الإيمان بالنصوص نصوص الصفات صحيحا؟ إذا جمع هٰذه الأربع: أن يؤمن بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

فهٰذه القواعد الأربع:

- أن نؤمن بالنصوص ولا نحرفها.
- نؤمن بالنصوص ولا نعطل الله جل وعلا عن وصفه الذي وصف به نفسه أو وصفه به رسوله.
- نؤمن بالنصوص -نصوص الصفات- من دون تكييف لهٰذه الصفات بكيفيات معهودة أو غير معهودة.
- نؤمن بالنصوص ولا نمثل الله جل وعلا بخلقه بل ننزهه.

وهٰذا يحتاج في بيانه إلىٰ بيان المراد بهٰذه الألفاظ الأربعة: ما معنىٰ التحريف؟ ما معنىٰ التعطيل؟ ما معنىٰ التكييف؟ وما معنىٰ التمثيل؟

▫ **أما التحريف**: فأصله في اللغة من الانحراف بالشيء عن وجهه، وهو صرفه عن وجهه ومعناه إلىٰ غيره. وهٰذا تحريف بمعنىٰ التغيير والتبديل، فإذن يكون معنىٰ التحريف التغيير والتبديل، حرّف أي غير وبدل، قال جل وعلا عن اليهود: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء:٤٦] قال المفسرون: إن معنىٰ قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ يعني يحرفون ما أنزل عليهم عن معانيه اللائقة به، بل يخترعون له معاني من عندهم، وسمّىٰ الله جل وعلا هٰذا منهم تحريفًا، قال: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾.

والتحريف في نصوص الصفات معناه أن تُغَيَّر وتُبَدّل ألفاظها أو معانيها عن ظواهرها، فإذا صُرف ظاهر النص عن معناه اللائق به فإنّ هٰذا سواء أكان في اللفظ أو في المعنىٰ فإنّ هٰذا تحريف، لأنه تغيير وتبديل.

قال العلماء: التحريف من حيث هو بتعلقه بنصوص الصفات أو بغيره يكون في اللفظ وفي المعنىٰ، يكون في اللفظ وفي المعنىٰ:

والتحريف في اللفظ: إما بزيادة أو نقصان، أو بتغيير حركة إعرابية، أو بغير تغيير حركة إعرابية.

والتحريف في المعنىٰ: يكون بتغيير معنىٰ الكلمة عن معناها المعروف في لغة العرب.

تحريف بزيادة: تحريف في اللفظ بزيادة كما فعل اليهود كما فعل اليهود، فإن الله جل وعلا أخبر عنهم بقوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[الأعراف:١٦٢]، قيل لهم: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[1] فقالوا: حبة في شعرة. غيروا اللفظ بزيادة، بل غيروه من أصله أو بزيادة كما روي أنهم قالوا: حِنطة. بزيادة النون، كذلك فعل المعتزلة والجهمية والأشاعرة ونحوهم حينما فسروا معنىٰ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[2] بقولهم: استولىٰ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[طه]، قالوا: استولىٰ، فهٰذا تحريف في اللفظ

(١) سورة: البقرة؛ الآية (٥٨)، الأعراف؛ الآية (١٦١).

(٢) وردت هذه الآية في القرآن في ستّ مواضع، سورة: الأعراف؛ الآية (٥٤)، يونس؛ الآية (٣)، الرعد؛ الآية (٢)، الفرقان؛ الآية (٥٩)، السجدة؛ الآية (٤)، الحديد؛ الآية (٤).

بزيادة حرف، فإن كلمة ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ ليس فيها حرف اللام، زادوا اللام فغيروا المعنىٰ، ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ جعلوا معناها استولىٰ، ومعنىٰ ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ المعروف في اللغة (علا وارتفع).

كذلك قد يكون بنقص: يُنقِص اللفظ، يكون نقصا في اللفظ، وقد يكون بتغيير حركة إعرابية في النص من مثل ما قال جهمي لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء النحاة والعلماء المتحققين بالسنة: يا أبا عمرو ألا تقرأ (وكلم اللهَ موسىٰ تكليما). (وكلم اللهَ) هٰذا تغيير حركة إعرابية؛ لأن القراءة ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾[النساء]، فالله جل جلاله هو فاعل الكلام، وموسىٰ في الإعراب مفعول به، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ أراد أن يغير ويحرف بتغيير حركة إعرابية، فقال: ألا تقرأ (وكلم اللهَ موسىٰ تكليما)؛ يعني أن له وجها في العربية عند هٰذا القائل لأن موسىٰ الحركة لا تظهر في آخره، فإذا قرئ (وكلم اللهَ موسىٰ) يكون المكلِّم هو موسىٰ والمكلَّم هو الله جل جلاله، وقال له أبو عمرو بن العلاء: هبني قلت ذلك وقرأته علىٰ هٰذا النحو، فماذا تقول في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣]؟ فَبُهِت.

هٰذا من نوع تغيير حركة إعرابية، تغيرت الحركة، وهٰذا ربما لجأ إليه كثير من الذين يزعمون أن عندهم علما بالنحو ، لكن مع ظهور العلم وقوته بطل ذلك منهم.

قد يكون تحريف بغير حركة إعرابية: يعني لا بزيادة لفظ ولا نقصان، لا بتغيير حركة إعرابية، يكون تحريف للفظ بغير هٰذه الأنحاء، بغير حركة إعرابية، كمثل هٰذا الذي قلت في قوله: (وكلم اللهَ موسىٰ) أراد أن يجعل موسىٰ المكلِّم، فهو حرَّف فغير موسىٰ من كونه مفعولا به إلىٰ كونه فاعلا، هٰذا ما دلت عليه حركة إعرابية، من غير حركة إعرابية.

كذلك يدخل في هٰذا الذين يحرفون الكلم الكلام ويجعلونه بمعنىٰ آخر: لفظ له معنىٰ يجعلون له معنىٰ آخر، مثلا يجعلون قوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، يجعلون معناه: بقدرتيّ أو بقدرتي، هٰذا تحريف للفظ هل هو من جهة المعنىٰ؟ جعلوا لفظ مكان لفظ، يقولون: اليد هنا هي القدرة، هي القدرة، ليست اليد هي المعروفة.

أو القسم الثاني أنه تحريف من جهة المعنىٰ: من جهة المعنىٰ، وهٰذا كثير كادعاء المجاز في آيات الصفات وكتأويل النصوص علىٰ غير ما دلت عليه لغة العرب، مثلا يأتون لقول الله جل وعلا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1] فيقولون: الرحمة هي إرادة الإحسان، إرادة الإحسان، هٰذا تحريف للرحمة عن معناها تغيير لها عن معناها، بأي شيء؟ بالأخذ بالمجاز، والأخذ بالمجاز في نصوص الصفات باطل ومن أصول أهل الضلال في الصفات، أما في غير الصفات يعني في اللغة من غير دخوله في الصفات فهو خلاف أدبي مع أن الصحيح عند المحققين أنه لا مجاز أصلا.

هنا يدخل في المحرفة الذين حرفوا الكلم عن مواضعه يدخل فيهم الجهمية أول ما يدخل؛ لأن أصل التحريف إنما جاء من جهة جهم، من جهم؛ بل من جهة الجعد بن درهم قبله؛ بل من جهة اليهود، لأن هٰذه المقالة أخذها الجعد عن اليهود، لأنهم هم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، وكان أول ما بدأ التحريف حين نفىٰ اتصاف الله جل وعلا بالكلام وقال إن قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾

---

(١) سورة: الفاتحة؛ الآية (١، ٣)، البقرة؛ الآية (١٦٣)، النمل؛ الآية (٣٠)، فصلت؛ الآية (٢)، الحشر؛ الآية (٢٢).

[النساء]، أي جرحه بأظافير الحكمة تجريحا، فليس من جهة الكلام وإنما من جهة التجريح، كلّم أي جرّح من الكلْم وهو الجُرْح، هٰذا أول ما بدأ نفوا صفة الكلام، تسلسل ذلك.

فإذن يدخل فيه أولا الجهمية، الجهمية يحرفون من جهة:

أولا الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا هم يقولون بها في القرآن لكن يجعلون تفسيرها بمخلوقات منفصلة، فصفة الله عند الجهمية هي الوجود المطلق فقط، غيره من الأسماء الحسنىٰ؛ السميع البصير الحي القيوم العليم الحكيم يفسرها الجهمية بمخلوقات منفصلة، يعني السميع هو من يُسْمَع، البصير هو من يُبْصَر، المتكلم هو من يَتَكَلَّم، يعني مخلوقات الله جل وعلا المنفصلة، العزيز هو من أُعِزّ أو من عَزَّ، القيوم هو من أُقِيم أو من قام بأموره.. وهكذا، فيجعلون هٰذه الأسماء تعلقت بالخلق من آثار صفة الله عندهم الوجود، من آثار صفة الله الوجود، فعندهم الوجود عام.

يدخل فيه المعتزلة فإن المعتزلة حرفوا، حرفوا الغيبيات جميعا في الصفات والأسماء، في الأمور الغيبية؛ عذاب القبر، في الميزان الحوض الصراط.. ونحو ذلك، جميع الأمور الغيبير صرفوها حرفوها عن معانيها، وهكذا.

يدخل فيه أيضا الأشاعرة فإنهم يحرفون.

هل كل تحريف يعد كفرا؟

الجواب: ليس كل تحريف يُعَد كفرا، فإن أهل السنة لم يكفروا الذين فسروا استوىٰ باستولىٰ، فإن كان التحريف في جميع الصفات كفعل الجهمية فإنّ هٰذا يعد كفرا، والجهمية عندهم كفار؛ لأنهم حرفوا ونفوا صفات الله جل وعلا، إن كان التحريف في بعض الصفات رُئِيَ ما هٰذه الصفة:

فإن كانت الدلالة عليها ظاهرة ولا يحتملها وجه، يعني ليس للتأويل فيها مدخل، هنا يُكفّر به؛ كتكفير من نفىٰ رؤية الله جل وعلا، وتكفير من جعل كلام الله جل وعلا مخلوقا.

وأما غيره مما قد يكون لقائله عذر في تأويله فإنه لا يقال بكفره، ولهٰذا أهل السنة والجماعة لم يكفّروا الأشاعرة والماتريدية والكلابية والسالمية والكرامية وأشباه هؤلاء.

- **<u>ولا تعطيل</u>**: هٰذه اللفظة الثانية، والتعطيل أصله في اللغة من: عطّل يعطل تعطيلا، وهو عُطْلٌ إذا كان خاليا، يقال: هٰذا مكان معطل إذا كان خاليا ليس فيه شيء، ويقال أيضا في المرأة: جيدها مُعَطَّلٌ إذا كان خاليا من الحَلي[1]، ومنه قول الشاعر في وصف امرأة أو في وصف جيد امرأة يقول:

وجيدٌ كجيد الرِّيم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمُعَطَل

بمعطل يعني خال من الحَلي فهٰذا أصله.

فإذن الإخلاء هٰذا هو التعطيل. ومعنىٰ قوله الله جل وعلا: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾[الحج:٤٥]، أي خالية من الماء؛ لأنه لم يُستفد منها أو لم تحفر ولم يُعتن بها لإخراج الماء.

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثاني.

تعطيل النصوص، تعطيل الصفات؛ تعطيل الله جل وعلا عن صفاته هٰذه بمعنىٰ إخلاء الله جل وعلا عن الوصف عن أوصافه، يعني نفي الصفات وجعْل الله جل وعلا ليس متصفا بالصفات.

والتعطيل عند العلماء أقسام أشهرها ثلاثة وهي:

أولا: تعطيل المخلوق عن خالقه، يعني إخلاء المخلوق عن أن يكون مخلوقا بنفي أن يكون ثم خالق له، كقول الملاحدة.

الثاني: تعطيل الخالق عن أوصافه التي وَصف بها نفسه أو وصفه بها رسله.

الثالث: تعطيل الخالق عن استحقاقه العبادة وحده لا شريك له.

والأول بحثه في توحيد الربوبية.

والثاني بحثه في توحيد الأسماء والصفات.

والثالث بحثه في توحيد الألوهية.

فإذن التعطيل دخل فيه أنواع التوحيد:

فإذا كان تعطيلا للمخلوق عن الخالق صار ذلك نفيا لتوحيد الربوبية.

إذا كان تعطيلا للخالق- لله- عن أوصافه صار تعطيلا ونفيا للأسماء والصفات.

إذا كان تعطيلا للخالق عما يستحقه من عبادته وحده دون ما سواه صار تعطيلا في الألوهية.

هنا المقصود الثاني. إذن المقصود بالتعطيل أن يُعطل الله جل وعلا عن أوصافه، يعني أن يصف نفسه بصفة، أن يصفه رسوله ﷺ بصفة، فيُخلىٰ الله جل وعلا من هٰذه الصفة؛ يعني كأن لم يصف نفسه بذلك الوصف وكأن لم يصفه رسوله ﷺ بذلك الوصف؛ فإنّ وصف الله جل وعلا نفسه جلبٌ لهٰذه الصفة له جل وعلا لنعلمها؛ لأننا لم نعلم أنه جل وعلا متصف بهٰذه الصفة فأخبرنا الله بأنه متصف بهٰذه الصفة، فصار إثباته جل وعلا لنفسه هٰذه الصفة هٰذا زيادة علم عما كان عندنا من قبل، فإذا نُفيت صار ذلك إخلاءً لله جل وعلا عن الوصف فصار تعطيلا.

فإذن يدخل في المعطلة الذين ينفون وصف الله جل وعلا بكل الصفات كفعل الجهمية.

ويدخل فيهم الذين ينفون أوصاف الله جل وعلا غير ثلاث الصفات المشهورة وهي عند المعتزلة.

كذلك يدخل فيه الذين يعطلون الله جل وعلا عن الاتصاف بغير سبع الصفات المشهورة عند الكلابية ومن تبعهم من الأشاعرة والماتريدية... وهٰذا باب واسع يأتي إن شاء الله تفصيله.

فإذن كل من لم يصف الله جل وعلا بما وصف به نفسه بأنْ حرف أو أوَّل، أخلىٰ الله جل وعلا عن الوصف اللائق به كما أخبر، منع الأخذ بظواهر النصوص= فإن هٰذا يعد تعطيلا، أهل السنة يخالفون المبتدعة الذين يعطّلون.

فإذن إيمان المعطل بالنص هل هو حقيقة أم دعوىٰ؟ هو دعوىٰ؛ فالأشعري والماتريدي والمعتزلي والإباضي والرافضي وأشباههم يقولون: نؤمن بالنصوص لكنهم يعطّلون النصوص عن معانيها ويجعلون هٰذه المعاني للنصوص في الصفات راجعة إلىٰ الأوصاف التي يثبتونها.

فالجهمي يُرجع كل صفة إلىٰ صفة الوجود بجعل الأوصاف والأسماء أثرا لصفة الوجود.

المعتزلي يجعل الصفات والأسماء من آثار الصفات الثلاث التي يثبتها.

الأشعري والماتريدي والكلابي يجعل كل صفة راجعة إلىٰ الصفات السبع التي يثبتها، فمثلا صفة النزول لله جل وعلا ينفيها أولئك، فالأشعري يفسرها يقول: نؤمن بأنه ينزل لكن نزوله ليس نزولا حقيقيا وإنما هو نزول الرحمة، نزول الإجابة؛ إجابته جل وعلا للداعين في هٰذا الوقت المتأخر من الليل.

فهم يجعلون الصفة راجعة إلىٰ الصفات التي يثبتونها، الرحمة مثلا عندهم إرادة الإحسان لم؟ لأنهم يجعلون من الصفات السبع صفة الإرادة. الغضب عندهم إرادة الانتقام، لم؟ لأن الإرادة عندهم من الصفات السبع وهكذا، فكل صفة يعطلونها عن معناها الذي دلت عليه اللغة، يقولون: نؤمن بالنص لكن نجعل هٰذه الصفة معناها أحد الأوصاف السبعة التي أثبتناها، وهٰذه الأوصاف السبعة لإثباتهم لها وسبب ذلك مزيد تفصيل يأتي في مكانه إن شاء الله من هٰذه الرسالة المباركة.

قال: (وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ): هنا لاحظ أنه كرر (وَمِنْ غَيْرِ) (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ) والسبب في ذلك أن التحريف والتعطيل متقاربان وكذلك التكييف والتمثيل متقاربان، لكن التكييف والتمثيل غير التحريف والتعطيل.

فالتكييف والتمثيل يدخل فيه المجسمة.

والتحريف والتعطيل يدخل فيه المعطلة.

ولهٰذا قال العلماء: **المعطل يعبد عدما والمجسم يعبد صنما**، لم؟ لأنه جَسَّم، تخيّل إلٰهه علىٰ نحو ما فعبد هٰذا المتخيَّل فصار المتخيَّل صورة فصار صنما، وأما المعطل فيعبد عدما لأنه يعبد إلٰها ليس له صفة أو ليس له أسماء أو نعوت فهو يعبد عدمًا، فإذا كان لا يصف الله بشيء فهٰذا يعبد العدم المحض كفعل الجهمية وهكذا.

- قال: (وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ) **التكييف**: من كيّف الشيء يكيّفه تكييفا؛ إذا جعل له كيفية، **والتكييف معناه أن يجعل لصفة الله جل وعلا كيفية**، قد تكون هٰذه الكيفية معلومة المثال وقد لا تكون معلومة المثال.

مثلا: يجعل اتصاف الله جل وعلا باليد علىٰ مثال يعلمه، يجعل الكيفية علىٰ نحو ما.

يقول مثلا: الله جل وعلا استوىٰ علىٰ العرش، كيفية الاستواء كذا وكذا، قد يكون يكيفها بما عهده فيكون تمثيلا، وقد يكيفها بشيء خيال في ذهنه فيعد تكييفا من غير مثال.

ما المقصود هنا بهٰذا الموضع بالتكييف لما عطف عليه التمثيل بالواو والواو تقتضي المغايرة؟ دل علىٰ أنهم يريدون بالتكييف التكييف علىٰ غير مثال معلوم، يعني يخترع له كيفية لا مثال لها، وإن كان التمثيل يدخل في التكييف لكنه لما عطف بالواو علمنا أنه يريد بالتكييف غير التمثيل، وأنّ التمثيل له وصفه والتكييف له وصفه.

فكيف يكون التكييف؟ مثلا: يتخيل صورة ليد الله جل وعلا، يتخيل صورة لاستواء الله جل وعلا، يتخيل صورة وحالا لنزول الله جل وعلا، يتخيل صورة وحالا لغضب الله جل وعلا، هٰذا كله تكييف يعني جعل للصفات كيفية، وهٰذا هو التكييف الذي سلكه طائفة من المجسمة؛ لأن المجسمة علىٰ

قسمين:

- مجسمة مكيفة.
- ومجسمة ممثلة.

منهم مجسمة ممثلة: جعلوا الله جل وعلا كيفية اخترعوها في أذهانهم ليس لها مثال.

ومنهم من جعله جل وعلا جسما علىٰ مثال يعلمونه مثل مخلوق أو نحو ذلك.

هٰذا معنىٰ التكييف.

ونفيه لا شك أنه من أعظم المعلومات التي يعلمها المؤمن؛ أنّه إذا وصف الله جل وعلا يصفه بصفة يؤمن بمعناها ولا يعلم كيفيتها، ولهٰذا قرّر الإمام مالك هٰذه القاعدة آخذا لها من قوله جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]، فقال لمن سأله عن الاستواء:

الاستواء معلومٌ والكيف غير معقولٍ -وهٰذه أثبت من الرواية الأخرىٰ التي فيها: الكيف مجهول- **والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.**

(الاستواء معلوم) يعني في اللغة معلوم المعنىٰ وأن معنىٰ الاستواء العلو والارتفاع، (والكيف غير معقول) لا تُعقل كيفية استواء الله جل وعلا، فإيمان المؤمن باستواء الله جل وعلا إيمانُ معنىٰ لا إيمانُ كيفية؛ لأنه إيمانٌ بما دل عليه ظاهر اللفظ، أما الكيفية فإن قلب المؤمن قد انقطعت علائقه، انقطع طمعه وانقطع طلبه للدَّرك والإدراك لكيفية الاتصاف، فإن هٰذا لا يعلمه إلا الله جل وعلا. وهٰذه قاعدة تقولها في كل صفة.

إذا قيل لك: **كيف النزول؟** قل: النزول معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

كيف غضب الله جل وعلا؟ تقول: الغضب معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

كيف الاستواء؟ كيف الرضا؟ كيف الأسف؟ كيف الرحمة؟ كيف المجيء؟ كيف الإتيان؟ ونحو ذلك، كل هٰذا هٰذه معلومة المعنىٰ لكن كيفياتها غير معقولة.

▫ قال هنا: (وَلاَ تَمْثِيلٍ) <u>التمثيل</u>: من مثَّل يمثل تمثيلا إذا جعل للشيء مثالا، وقد ذكرتُ لك أنّ التمثيل في الأصل نوع من التكييف، لكن هنا أفرده فصار قسيما للتكييف، صار التكييف شيئا والتمثيل شيئا آخر.

فما المراد بالتمثيل؟ أن يجعل لصفة الله جل وعلا مثالا يعلمه، يجعل اتصاف الله جل وعلا باليد علىٰ نحو اتصاف المخلوق به، يجعل اتصاف الله جل وعلا بالغضب علىٰ نحو اتصاف المخلوق به، يجعل اتصاف الله جل وعلا بالنزول علىٰ نحو اتصاف المخلوق به، ولهٰذا تجد أنّ كلّ معطل ممثلٌ؛ لأنه لم يعطل إلا وقد استحضر التمثيل قبل أن يعطّل، فإذا سألت المعطل الذي نفىٰ لم عطلّتَ؟ لم قلت في النزول: تنزل رحمة الله؟ لِم لم تقل: ينزل الله كما أخبر النبي ﷺ بذلك الذي هو أعلم الخلق بربه؟ قال: هٰذا غير معقول، هٰذا يستحيل، كيف ينزل، هٰذا يقتضي التشبيه. فهو استحضر أو ظن أن ظاهر النص هو التمثيل فمثل أولا ثم نفىٰ ثانيا.

ولهٰذا يقول العلماء: كل محرِّفٍ أو معطل لنصوص الصفات فقد مثل وعطل. فالممثل والمكيف خير من المعطل؛ لأنه إنما وقع في شر واحد وبدعة واحدة وهي التمثيل والتكييف، أما المعطل المحرف النافي للصفات فقد مثل باطنا ثم عطل ظاهرا، قام بقلبه التمثيل أن الله جل وعلا في هٰذه الصفة مثل المخلوق، كيف يد الله جارحة، يتكلم كيف بحرف وصوت معنىٰ ذلك يلزم لسان ولهاة وإلىٰ آخره فاستحضر التمثيل يعني ظن فهم من النص أنه يدل علىٰ التمثيل فمثل ثم بعد ذلك نفىٰ هٰذا وعطل نسأل الله جل وعلا العافية.

قال هنا: (وَلاَ تَمْثِيلٍ) ولهٰذا التمثيل من فعل المجسمة، كذلك التكييف من فعل المجسمة، والمجسمة والمعطلة أعداء لأهل السنة والجماعة؛ لأن أهل السنة والجماعة يؤمنون بالنصوص لا يمثلون ولا يجسمون ولا يعطلون ولا يحرفون، بل يثبتون النصوص علىٰ ما دلت عليه، كما سيأتي بيان ذلك في عقيدتهم في نصوص الصفات التي سيسوقها شيخ الإسلام رحمة الله جل وعلا الواسعة عليه.

قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر هٰذا قال: (بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ)، (بَلْ) هٰذه للإضراب؛ إضراب عما سبق إلىٰ الآن، والإضراب نوعان:

أ- قد يكون إضرابٌ لغرض.

ب- وقد يكون إضرابٌ للانتقال من كلام إلىٰ كلام.

والذي في القرآن من الإضراب: الإضراب الانتقالي.

وهنا يعني (بَلْ) الإضراب الانتقالي. قال: (بَلْ يُؤْمِنُونَ) أضرب عن الكلام السالف يعني عن تفصيله وعن تدقيق الكلام فيه وتنويع الكلام فيه ودخل في كلام آخر، قال: (بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]. فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ).

نؤمن بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، كما أخبر الله جل وعلا بذلك عن نفسه في سورة الشورىٰ فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ وقال جل وعلا: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم] وقال جل وعلا: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[النحل]، يعني لا تضربوا لله الأوصاف والنعوت إن الله يعلم ما يصف به نفسه وأنتم لا تعلمون كيف تصفون الله جل وعلا.

هٰذه الآية وهي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ] فيها النفي والإثبات، نفىٰ بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ وأثبت بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، وهٰذه قاعدة عظيمة أخبر الله جل وعلا بها، ومعنىٰ ذلك أن هٰذا الدين وأن هٰذا الإيمان بالصفات مبني علىٰ النفي والإثبات:

- نفي: كما نفىٰ الله بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾.
- وإثبات: كما أثبت الله بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

يظهر من الآية أن النفي جاء فيها مجملا وأن الإثبات جاء فيها مفصّلا، فقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ نفي مجمل بدون تحديد هٰذا النفي، المبتدعة يعكسون القاعدة فيجعلون النفي مفصلا

ويجعلون الإثبات مجملا، والله جل جلاله جعل النفي مجملا والإثبات مفصلا، قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ هٰذا: كل ما يَطْلُع للذهن فلا يصح أن يكون الله جل وعلا مثله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، الإثبات مفصل ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾.

هنا في قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ الكاف هٰذه مما تكلم فيها العلماء، ولتقريرها فائدة في العقائد، وذلك أن قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، ﴿شَيۡءٞۖ﴾ اسم ﴿لَيۡسَ﴾، سبْك الكلام: ليس شيء كمثله، ليس شيء كمثله.

الكاف هنا هٰذه ما نوعها؟ فهم الآية يتوقف علىٰ فهم معنىٰ الكاف هنا، ليس شيء كمثله، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، الكاف هٰذه لأهل العلم فيها وجهان:

قال طائفة من أهل العلم: إن الكاف هنا صلة وهي الزائدة لإفادة تكرير الكلام والجملة مرتين أو أكثر، واللغة العربية فيها زيادة الحرف لمزيد تأكيد الكلام كما قال جل وعلا: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ ﴾[آل عمران:١٥٩] يعني فبرحمة من الله لنت لهم، (مَا) هنا مزيدة لتوكيد الكلام، ما معنىٰ التوكيد هنا؟ تكرار الجملة لتعظيم شأنها، قال فبرحمة من الله لنت لهم فبرحمة من الله لنت لهم.

هنا إذن علىٰ هٰذا تكون الكاف صلة؛ يعني زائدة لتأكيد المعنىٰ، قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ يعني ليس مثله شيء، ليس مثله شيء، ليس مثله شيء وهو السميع البصير. فالعربي يفهم من هٰذه الصلة ومجيء الكاف هنا أن الجملة كُررت عليه أكثر من مرة وهٰذا من أسرار اللسان العربي.

قال: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١﴾ [القيامة] ﴿لَآ﴾ هٰذه صلة، معنىٰ الكلام: أقسم بيوم القيامة، أقسم بيوم القيامة، أقسم بيوم القيامة، ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾[القيامة]؛ وأقسم بالنفس اللوامة، أقسم بالنفس وهكذا.

فإذن مزيد الحرف لمزيد التأكيد، فقوله هنا: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ هٰذه للتأكيد، ومجيء الكاف للتأكيد بخصوصها هٰذا معروف في اللغة ومنه قول الشاعر:

لـو كـان في قلبـي كقـدر قلامـة ....

(لو كان في قلبي كقدر قلامة)، (لو كان في قلبي كقدر) ليس لـ(كان) هنا اسم، (في قلبي) جارّ ومجرور،

................كقـدر قلامـة [حبًّـا لغيـرك مـا] أتتـك رسـائلي

وهنا قال إذن: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ فصار المعنىٰ ليس مثله شيء ليس مثله شيء ليس مثله شيء وهو السميع البصير.

وهٰذا المعنىٰ، وهٰذا الوجه هو الصحيح، وهو الراجح عند العلماء المحققين.

الوجه الثاني أن تكون الكاف بمعنىٰ المِثْل، فيكون المعنىٰ: ليس مثلَ مثلِه شيء، -ليس فيها تأكيد- ليس مثلَ مثلِه شيء وهو السميع البصير، ونفي مثل المثل فائدته استحالة وجود المثل، وليس كما ظُن أن فيه إثبات لوجود المثل؛ يعني صُرف النظر عن المثل إلىٰ مثل المثل إبعادًا لوجود المثل، لكن هٰذا فيه نوع ضَعف مع أنَّ كثيرا من العلماء قال به، ومجيء الكاف بمعنىٰ مثل كثير، ومنه قوله جل وعلا في سورة

البقرة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة:٧٤] لما عطف ﴿أَشَدُّ﴾ على موضع الكاف دلنا على أن الكاف ليست بحرف؛ بل هي اسم؛ لأن الاسم لا يعطف على حرف.

قال هنا: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ هٰذا إثبات؛ إثبات مفصّل، فصّل الإثبات قال: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، و﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ اسمٌ من أسماء الله، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ اسم من أسماء الله، وأسماء الله جل وعلا تدل على ذاته -دلالة الاسم على المسمى على الذات- وفيها الصفة، السميع اسم لمن كان ذا سمع، والبصير اسم لمن كان ذا بصر، ففيها إثبات السمع والبصر لله جل وعلا.

ما فائدة إثبات السمع والبصر هنا؟ قال العلماء: في هٰذا حكمة وفائدة عظيمة؛ وهو أنه نفى أولا بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ثم أثبت هذين الاسمين لله المتضمّنين لصفتي السمع والبصر.

وسبب ذلك أنّ صفة السمع والبصر من الصفات التي تشترك فيها أكثر المخلوقات الحيَّة ذات الروح مهما صغر من فيه حياة من ذوي الأرواح أو عظم فعنده سمع وبصر:

فانظروا إلى النملة عندها سمع وبصر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾[النمل] عندها سمعٌ، سمعت، وتبصر طريقها.

البعوضة كذلك لها سمع ولها بصر.

الدواب لها سمع ولها بصر.

الإنسان له سمع وله بصر..

فصفتا السمع والبصر من أكثر الصفات اشتراكا بين المخلوقات الحية ذوات الأرواح، فإذا كان ثَم توهم في المماثلة فليكن توهم للماثلة في اتِّصاف هٰذه المخلوقات بصفة السمع والبصر.

فهل بصرك أيها الإنسان وسمعك من مثل بصر النملة وسمعها؟ لا، أنَّ ثم قدْرًا مشتركا في السمع بين البعوض والإنسان، وفي البصر بين البعوض والإنسان، لكن تختلف كيفيته، تختلف حقيقته، يختلف عِظمه وتعلُّقه، كذلك السمع: الإنسان يسمع من مسافة بعيدة، المخلوق الصغير الذباب أوالبعوض هٰذا يسمع لأقل وهكذا.

فإذا كان كذلك دلَّ على أن إثبات السمع والبصر في المخلوقات هو إثبات وجود لا إثبات مساواة وهٰذا متَّصل بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

فإذن إثبات هاتين الصفتين لله التي عظُم اشتراك المخلوقات مع الله جل وعلا في اسم الصِّفة وفي بعض معناها أنّ هٰذا ليس من جهة التَّمثيل في شيء، ففيه أعظمُ ردٍّ على الذين توهَّموا أن إثبات الصفات فيه تمثيل وفيه تجسيم، -ظاهر هٰذا؟-.

هنا تنبيه: وهو أن التمثيل يختلف عن التشبيه، التمثيل أن يُجعل الشيءُ مماثلًا للشيء في صفة كاملة أو في الصفات كلها، نقول: محمدٌ مثل خالد؛ إذا كان محمد مثل خالد في جميع الصفات أو في صفة كاملة، محمد مثل خالد في الكرم يعني يماثله تمامًا.

أما المشابهة فهي اشتراكٌ في بعض الصفة أو في بعض الصفات، قال بعض العلماء: أو في كل الصفات. يعني بعض العلماء جعل التمثيل أوسع من التشبيه.

ولهٰذا فإن نفي التشبيه، إذا نفي في نصوص العلماء أهل السنة والجماعة فإنما يعنون به التشبيه الذي هو التمثيل المماثلة في صفة كاملة أو المماثلة في الصفات.

أما التشبيه الذي هو اشتراك في جزء المعنىٰ فإنّ هٰذا ليس مرادا لهم؛ لأنهم يثبتون الاشتراك؛ فالله جل وعلا له سمع وللمخلوق سمع وهناك اشتراك في اللفظ وفي جزء المعنىٰ.

فالسمع معناه معروف في اللغة، لكن من حيث تعلقه بالمخلوق يختلف عن جهة تعلقه بالخالق، ولهٰذا فإننا نقول في الصفات هنا كما قال: (وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ) وإذا قيل: ومن غير تشبيه، فإنهم يريدون بالتشبيه التمثيل، وهٰذا مستعمل عند العلماء أنهم ينفون التشبيه ويريدون به التمثيل.

قال هنا: (فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) يعني بل يثبتون ما وصف الله جل وعلا به نفسه، ولا ينفون عنه صفة وصف بها نفسه، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وقد بينت لكم معناه عند شرح كلمة التحريف.

قال: (وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ) **الإلحاد في أسماء الله الميل بها والعدول بها عن حقائقها وعما يليق بها.**

وأصله في اللغة من لحد وألحد إذا مال، ألحد فلان في الطريق يعني مال في الطريق، وهٰذا اللحد الذي هو جانب القبر الذي يوضع فيه الميّت لحْدٌ لأنه أميل به عن سمت الحفر.

والإلحاد في أسماء الله هو الذي جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾[الأعراف:١٨٠] يعني يميلون بها عما يليق بها، وهٰذا الإلحاد وهو الميل قد يكون:

بصرفها عن ظواهرها التي دلت عليه.

وقد يكون بترك التعبد بها.

وقد يكون بتحريفها: فالمشركون سموا العزّىٰ من العزيز، وهٰذا إلحاد، وسموا اللات من الله أو من الإله وهٰذا من الإلحاد ونحْوِ ذلك، سموا مناة من المنان كما هي بعض الروايات، وهٰذا كله من الإلحاد.

ترك دعاء الله جل وعلا بأسمائه هٰذا من الإلحاد.

هنا مراده نوع من ذلك الإلحاد وهو صرفها عن معانيها اللائقة بها؛ لأنه ميل بها وعدول عن اللائق بها، والواجب أن يسلك في الأسماء والصفات وآيات الله جل وعلا ما يليق بها لا أن يمال عما يليق بها ويعدل عن حقائقها التي تليق بالله جل وعلا.

قال: (وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ) وهٰذا جاء مقرّرًا فيما سبق.

ونقف عند هٰذا، ونسأل الله جل وعلا لنا ولكم الهدىٰ والرشاد والانتفاع بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.